

كان يا ما كان مدينة طرابلس الرومانية ...

الفصل الثالث : من السلاجقة إلى الرومان

طرابلس لبنان في العصر الروماني : جوهرة فينيقيا

نحن في القرن الأول قبل الميلاد. فينيقيا وسوريا تعانيان من النزاعات الناجمة عن ضعف ملوك السلجوقيين، مما استدعى تدخل تيغران الكبير Tigrane ملك أرمينيا، الذي حكم حتى عام ٦٩ قبل الميلاد، وهي السنة التي غزا فيها الرومان الشرق الأوسط. في عام ٦٥ قبل الميلاد، أرسل مجلس الشيوخ الروماني بومبي Pompée إلى سوريا لإعادة السلام والاستقرار. فور وصوله إلى طرابلس، أمر بومبيوس Pompée بإعدام الحاكم ديونيسوس¹ Dionysos، الذي اعتبره مضطهدًا، مما أكد سلطته على المنطقة. ديونيسوس Dionysos، الذي كان مرتبطًا بأمير عربي يدعى بطليموس Ptolémée، يمثل تعقيد التأثيرات الثقافية في المنطقة. يذكر الكتاب الكلاسيكيون أن حكام العرب كانوا غالبًا يحملون أسماء يونانية، وخاصة في قبيلة "المعن" Maans، التي تسللت إلى سكان البقاع والجبال المحيطة.² بعد قطع رأس ديونيسوس Dionysos، أصبح بومبيوس Pompée السيد المطلق، يمنح الأمراء المحليين حق الحكم تحت تبعية روما³، شريطة الولاء. هيرودس Hérode العظيم، ملك يهودا، صديق وحليف للرومان، يزود المدن الفينيقية بمنشآت عامة، بما في ذلك طرابلس ودمشق وبتليموس Ptolémaïs، بصالات رياضية وأسوار ومعابد ومسارح.

طرابلس تحت الحكم الروماني

في العصر الروماني، أصبحت طرابلس (تريبوليس باللاتينية) مدينة مزدهرة في مقاطعة فينيقيا. وكانت تعتبر هذه المدينة، التي تتألف من ثلاثة مناطق متميزة تمثل صور وصيدا وأرود، شاهدًا قيمًا على الحضارة الرومانية في هذه المنطقة. عرفت طرابلس فترة من الثبات والازدهار بفضل السلام الروماني (باكس رومانا)، وذلك بعد غزو الإسكندر الأكبر Alexandre le Grand في القرن الرابع قبل الميلاد والاندماج فيما بعد في الإمبراطورية الرومانية في القرن الأول قبل الميلاد.

¹ نينا جيدجيان، المرجع السابق، ص. ٢٩

² الطوبوغرافيا التاريخية لسوريا القديمة والوسيط، باريس، دار النشر الشرقية بول جوتنر، ١٩٢٧، ص. ٨١-٨٣

³ فلافيوس يوسيبوس، الآثار، ١٥.٩٥

الأهمية الاقتصادية والاستراتيجية

بفضل موقعها الاستراتيجي على ساحل البحر الأبيض المتوسط، ازدهرت طرابلس كمركز رئيسي للتجارة البحرية. توافد التجار لتبادل المنتجات مثل أخشاب الأرز من لبنان، والمنسوجات، والمعادن الثمينة، والمنتجات الزراعية. و زود الرومان المدينة ببنية تحتية متطورة: طرق معبدة، وأنابيب مياه مرتفعة، وموانئ محدثة تستقبل السفن من جميع أنحاء البحر الأبيض المتوسط.⁴

نذكر هنا هيرودس Hérode العظيم، ملك يهودا (٧٣-٤ قبل الميلاد). كان صديق وحليف للرومان، و قام بتزويد المدن الفينيقية بمنشآت عامة تحت رعاية روما. أعطى طرابلس ودمشق وبطليموس، صالات رياضية، وأسوار مرتفعة، وقاعات كبيرة، ومعابد مع ممرات تجارية ومسارح (صيدا، وفي دمشق).

تم ذكر طرابلس تحت حكم مارك أنطونيو Marc Antoine وكليوباترا السابعة. من أجل إرضاء كليوباترا، قدم مارك أنطونيو لها العديد من المدن الفينيقية لتصبح ملكة الشرق بينها طرابلس⁵. وقد تم طبع عملات معدنية بصورتها.⁶

الحياة اليومية والثقافية

تميزت الحياة في طرابلس باندماج التقاليد المحلية⁷ مع التأثيرات الرومانية. شكلت المسارح والمدارج الرومانية والحمامات العامة مراكز للترفيه والتواصل الاجتماعي. فيما يتعلق بالديانة، تعايشت المعابد المخصصة لآلهة الرومان مع المقدرات المخصصة للآلهة المحلية، مما يعكس التسامح والاستيعاب الثقافي في الإمبراطورية الرومانية.

الآثار والتنقيبات الأثرية

كشفت التنقيبات الأثرية في طرابلس عن وجود هياكل مثيرة للإعجاب، بما في ذلك الحمامات والمعابد والمسارح، مما يدل على التحضر الروماني وأهمية المدينة كمركز اقتصادي وثقافي⁸. توفر القطع النقدية والقطع الأثرية المتنوعة معلومات قيمة حول الاقتصاد المحلي والتبادل التجاري. هذه الأغراض، التي غالبًا ما تكون مزينة بالرموز والنقوش، هي دلالات مباشرة على الحياة اليومية والمعتقدات في ذلك الوقت.

تتوفر جميع المعلومات الهامة عن مدينة طرابلس تحت الإمبراطورية الرومانية من خلال القطع النقدية. تشير قاعدة من الرخام تم اكتشافها في أثينا وتعود إلى عهد هادريان Hadrien (١١٧-١٣٨) إلى أن طرابلس استفادت خلال هذه الإمبراطورية من الحكم الذاتي الممنوح لها وحق اللجوء.

^٤ جورج F. هيل، فهرس العملات اليونانية في فنيقيا، لندن، لونغمانز أند كو، ١٩١٠، ص. ٢٠٤.

^٥ فلافيوس يوسيبوس، الآثار، الفصل ١٥، الفقرة ٩٥.

^٦ جورج أف. هيل، فهرس العملات اليونانية في فنيقيا، لندن، لونغمانز أند كو، ١٩١٠، ص. ٢٠٤.

^٧ سترابون، جغرافية، الكتاب ١٦، الفصل ٢، الفقرة ١٥.

^٨ فلافيوس يوسيبوس، حروب اليهود، الكتاب ١، الفصل ٤٢٢.

تؤكد نقشة لاتينية أخرى موجودة في متحف اللوفر أن المدينة، خلال الفترة الرومانية، حافظت على تكوينها الثلاثي المتميز، فقد كانت تضم سكان أرواد وصيدا وصور. وكل حي بقي مستقلاً من الناحية الإدارية. وبالإضافة إلى ذلك، شهدت المدينة منافسات دولية في القرن الثالث للميلاد في صالة الألعاب الرياضية في طرابلس.⁹ تشير نقشة مؤرخة عام ٢٦٨ عثر عليها في اللاذقية إلى أن سيبتيوس إيريناوس Septimius Eirenaios قدم مدينته في الأحداث الرياضية التي نظمت في المدن المجاورة.¹⁰

الإنهيار والإرث

مثل العديد من المدن الأخرى في الإمبراطورية الرومانية، عرفت طرابلس انحدار ابتداء من القرن الثالث، بسبب الأزمات السياسية والاقتصادية والغزوات. ومع ذلك، لم تهمل المدينة تماماً أبد. استمرت في أداء دور هام في المنطقة عبر القرون التالية، تحت سيطرة¹¹ مختلفة. لا يزال التراث الروماني ملموساً في التخطيط العمراني لطرابلس وبعض التقاليد المحلية. الهياكل القديمة والآثار التاريخية تشكل تذكيراً مستمراً بتلك الفترة المزدهرة. وتحظى طرابلس اليوم بأهمية في لبنان، حيث يتلاقى التاريخ والحداثة بتناغم فيها. في الختام، كانت طرابلس في العصر الروماني مدينة نابضة بالحياة ومزدهرة وثرية ثقافياً. ويشهد تاريخها على أهمية فينيقيا في الإمبراطورية الرومانية وقدرة هذه المنطقة على استيعاب التأثيرات الخارجية والتكيف معها، مع الحفاظ على تقاليدها الخاصة.

Pour aller plus loin :

"Tripoli du Liban à l'époque romaine : Un joyau de la Phénicie"

1. Atlas Obscura - Roman Ruins in Tripoli
2. Britannica - Tripoli, Lebanon
3. DUSSAUD, René Topographie historique de la Syrie antique médiévale, Paris : Librairie orientaliste Paul Geuthner, 1927, pp.88-83
4. JOSEPH, Flavios, *Guerre des juifs*, Trad. A. Pelletier. Coll. Universités de France, G. Budé. Paris. Editions, « Les belles Lettres ». 1075. Antiquitas judaicae graece et latine recognovit Guilemus Dindorfius. Scriptorum Graeci. Paris. : Firmin Didot, 1845. « Jewish Antiquities, Cambridge : Harvard University press, 1950-1963 (The Loeb Classical Library).
5. Livius.org - Tripolis (Phoenicia)
6. GEORGES F. Hill, *Catalogue of the Greek coins of Phoenicia*, London, Longmans and Co, 1910, p.204
7. STRABON, Géographie, Trad. A.Tardieu, 3 tomes : Paris, Librairie Garnier Frères (Classiques Garnier), 1932.

⁹ فلافيوس يوسيبوس، حروب اليهود، الكتاب ١، الفصل ٤٢٢.

¹⁰ فلافيوس يوسيبوس، المرجع السابق، ص. ٧٣-٤.

¹¹ "موسوعة بريتانكا، طرابلس، لبنان"